الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية،المجلد 12، العدد 02، 2020 | القسم (ج) الآداب و الفلسفة، ص.ص: 223 - 229

قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية

الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية

الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

من التحولات الهوياتية والثقافية المتعددة إلى إمكانية تأسيس هوية عربية كونية ناهضة

From Multiple Culture and Identity Shifts to the Possibility of Establishing a Raising global Arab Identity

د. زيات فيصل [1] *

[1] جامعة العربي التبسي، تبسة – الجزائر.

Key words:

Identity,

Culture diversity,

nationalism,

Shifts,

crisis.

Abstract

This study aims at highlighting the importance of cultural diversity, which is considered a dynamic concept, and its effective role for the individual and society, as it is the main driver of communities as well the basis of its continuous development. Cultural diversity within framework of human rights is fundamental right as the other rights, and its absence means the absence of the right to pluralism and difference is a violation of human rights. In this context and within the multiplicity of cultural diversity, the individual cannot from a clear perception of him which leads to form what so-called identity crisis, which can also be regarded as decisive and articulated station in the formation and the emergence of the cultural identity of the individual. This cultural diversity is bound to lead to identity shifts, and that's what must be shed light on, in order to profiteering the identity shift and cultural diversity in the process of establishing a rising Arab identity.

The study concludes that it is useful to look at culture or multiculturalism from a global perspective. The Arab-Islamic culture can play an active role in building a global Arab identity, because already it was so in the past, therefore it is capable and worthy to play its role today as a common culture in the world.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال :30-06-2019

المراجعة : 14-12-2019

القبول : 10-05-2020

الكلمات المفتاحية:

الهوية،

التنوع الثقافي،

الوطنية،

التحول،

الأزمة.

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية التنوع الثقافي الذي يعتبر مفهوما ديناميا، ودوره الفعال الذي يعود على الفرد والمجتمع، حيث يعتبر المحرك الرئيسي للمجتمعات، كما أنه أساس التنمية المستمرة لها. ويعتبر التنوع الثقافي في إطار حقوق الإنسان حق أساسي شأنه شأن باقي الحقوق، وأن تغييبه من خلال تغييب الحق في التعدد والاختلاف إنما هو تغييب لحقوق الإنسان. وفي إطار هذا التعدد للتنوع الثقافي لا يستطيع الفرد وضع تصور واضح له فيتشكل ما يسمى بأزمة الهوية، والتي يمكن اعتبارها أيضا محطة حاسمة ومفصلية في بروز وتشكل الهوية الثقافية لدى الفرد، ومن المحتم أن يقود هذا التنوع الثقافي إلى تحولات هوياتية، وهذا ما ينبغي الانتباه إليه هنا، من أجل استغلال التحول الهوياتي والتنوع الثقافي، في عملية تأسيس هوية عربية كونية ناهضة.

وتوصلت الدراسة إلى أنه من المفيد أن ننظر إلى الثقافة أو التعدد الثقافي من زاوية عالمية. وأن الثقافة العربية الإسلامية يمكن أن تؤدي دورها الفعال في بناء هوية عربية كونية، لأنها قامت به في الماضي فعلا، وبهذا فهي قادرة وجديرة بأن تنهض اليوم بدورها بصفتها ثقافة كبرى في العالم.

* Corresponding author at: Larbi Tebessi University – Tebessa . ALGERIA

Email : fayssal.ziat@univ-tebessa.dz

1ـ مقدمة

إن الراصد غير المتعمق لما يجري في الساحة الثقافية والاجتماعية العربية الراهنة، يصطدم بوجود وجهات نظر متباينة كثيرة حول مسألة الهوية، الأمر الذي يجعله يخال أنه في مواجهة هويات متعددة تتشكل كل واحدة منها فضاء قائمًا بذاته، لا رابط بينه وبين الفضاءات الأخرى. هل يدفعنا ذلك إلى الاستنتاج بأننا نعاني أزمة هوية في الوطن العربي هي السبب في تدهور الحالة التي وصلنا إليها، أم فشل العرب في مواجهة التحديات الحقيقية الداخلية(الانتماءات الأيديولوجية) والخارجية الراهنة (العولمة والتنوع الثقافي) هو الذي أفضى إلى تذرر المجتمع العربي على النحو الذي يبدو فيه وكأنه "مجتمعات" ذات هويات مختلفة، وليس مجتمعًا تشكل الهوية لحمته ؟

هذا وقد برز التنوع الثقافي كانشغال رئيسي في مطلع القرن الجديد، ولذا فإن التحدي الأساسي يتمثل في طرح رؤية منسجمة متماسكة للتنوع الثقافي والتحول الهوياتي في المجتمع العربي، توضح أن هذا التنوع والتحول بدلا أن يكون مصدرا للخطر، يمكن أن يفيد العمل على صعيد المجتمع العربي، في تأسيس هوية عربية كونية ناهضة. وهذا بالذات هو الهدف الأساسي من المداخلة. ويمكن توضيح ذلك من خلال المحاور التالية:

أولا- الهويات الوطنية والدينية والثقافية والمتعددة وتحولاتها.

ثانيا- الثقافة والتنوع الثقافي في ظل التحولات الجديدة.

ثالثا- نحو هوية عربية كونية ناهضة

2.الهويات الوطنية والدينية والثقافية والمتعددة وتحولاتها

2. 1. تعريف الهوية

إن الهوية باعتبارها ناتجة من بناء اجتماعي، تشارك في تعقد الاجتماعي، ما يميز الهوية هو، بالأخرى، خاصيتها المتقلقلة والقابلة لتأويلات ومعالجات متعددة، وذلك هو، تحديدا، مأتى صعوبة تعريف الهوية[1].

وتبدأ الهوية بالنمو والتطور خلال التاريخ الشخصي للفرد بما يتوافر له من " تدريبات أساسية لضبط السلوك، وإشباع الحاجات وفقا لتحديدات اللغة والعادات والمعايير والأدوار في إطار المنظومة الثقافية للمجتمع. وهذه الالتزامات تفرضها المؤسسات الاجتماعية على الفرد، وعليه إيجاد حلول لها بطريقة إيجابية" [2]

وتعرف الهوية أيضا بأنها إحساس بالذات ينشأ حينما يبدأ الفرد بالتميز عن والديه وعائلته ويأخذ موقعه في المجتمع. فهي تشير إلى شعور شخص ما بمن هو وما هي الأشياء الأكثر أهمية بالنسبة له. ومن المصادر الأساسية للهوية هي الدين، اللغة ، التاريخ، القومية، والعرق والجنس والطبقة. ورغم أن الهوية تنسب إلى الأفراد إلا أنها ترتبط بالمجموعات الاجتماعية التي ينتسب لها الأفراد ويصنفوا على ضوئها. ولا يوجد هناك دائما تطابق تام بين ما يعتقده الأفراد عن أنفسهم وبين ما يراهم الآخرون عليه. (فالهوية الفردية) ربما تختلف عن (الهوية الاجتماعية). فمثلا الشخص الذي ينظر إليه باعتباره ذكر ربما يرى نفسه امرأة سجنت في جسم رجل[3].

قد حدد مارشيا وانتهى إلى وجود أربع رتب للهوية هي: تحقيق الهوية: وفيها يقضي الفرد وقتا فعالا لتحديد هدفه من الحياة واعتبار الذات والقيم التي يؤمن بها، ولديه تعهد شخصي بالكفاح في سبيل الوصول إلى الأهداف التي يؤمن بها. وهذا ما جعل أمين معلوف يقول " هويتي هي ما يجعلني لا أشبه أي إنسان آخر" وهذا ما يحدد الهوية بالضبط حسب رأيه. ثانيا تشتت الهوية.ثالثا انغلاق الهوية. وأخيرا تعليق الهوية.إن الهوية حسب أمين معلوف " لا تعطى دفعة واحدة، فهي تبنى وتتحول على مدى الحياة"[4]

ترتبط فكرة الهوية بإحكام إلى فكرة الثقافة. فمثلا ستيفن فروش يعتبر أن الهوية إفراز من الثقافات، ولكنها لا تتكون منها بتلك البساطة. فهو يقول (النظرية الحديثة لعلم النفس وعلم الاجتماع تؤكد أن هوية الفرد في الحقيقة متعددة وربما سائلة، حيث إنها تتكون عبر التجربة وتترسخ برموز لغوية. والأفراد حين يطورون هوياتهم إنما ينجذبون إلى المعطيات الثقافية الموجودة في الشبكة الاجتماعية المباشرة لهم وتلك الموجودة في المجتمع ككل) [5].

2. 2. التحولات الهوياتية (تجزئة الهوية)

تتخذ مسألة الهويات – الوطنية والثقافية والدينية والإثنية واللغوية والمستندة إلى الجنس والمستندة إلى الاستهلاك، إلى ما هنالك- أهمية متجددة للأفراد والجماعات ممن يعتبر العولمة والتغير الثقافي تهديدا لمعتقداته وأسلوب حياته. وتتعارض التوترات المتنامية حول الهوية والتي كثيرا ما تعزى إلى إضفاء الصبغة الثقافية على مطالب سياسية مع الاتجاه العام نحو ظهور هويات ديناميكية متعددة الأوجه. فالعمل السياسي النشط المتعلق بالهوية الدينية يمكن أن يكون محددا شديد القوة للهوية الثقافية وللفارق الثقافي. وفي هذا السياق يكمن خطر استخدام المعتقد الديني كأداة للدفع قدما بالأجندات السياسية وما يتصل بها، مع ما يرتبط بذلك من احتمال التسبب في النزاع داخل الأديان فضلا عن الانشقاق في المجتمعات الديمقراطية.

وهناك اتجاه نحو المساواة بين التنوع الثقافي وتنوع الثقافات الوطنية. على أن الهوية الوطنية، إلى حد ما تعتبر تركيبا يقوم على إعادة تشكيل الماضي في بعض الأحيان، وهي توفر محورا يرتكز إليه شعورنا بالانتماء. والهوية الثقافية عبارة عن عملية أكثر سيولة ومتحولة ذاتيا ينظر إليها من حيث كونها أكثر من كونها مشروعا للمستقبل أكثر من كونها إرثا من الماضي. وفي سياق عالم آخذ في العولمة، تستمد الهويات الثقافية في أحيان كثيرة من مصادر متعددة، فالمرونة

المتزايدة في الهويات الثقافية تعكس التعقد المتنامي لتدفقات الناس والبضائع والمعلومات في عالم العولمة [6].

وفي سياق متعدد الثقافات، يختار الناس اعتماد شكل معين من أشكال الهوية، في حين آخرين يختارون العيش بهوية مزدوجة، بينما يعمد غيرهم إلى خلق هويات هجينة لأنفسهم.

إن التحولات في الهوية وفي الدور الاجتماعي المصاحب لها ترتكز إلى تمييز عشوائي بين من هم في سن 64 وأولئك الذين في سن 65، غير أن تلك التغيرات لها تأثير كبير جدا على هوية الفرد. فالهوية هي جزء مكمل للحياة الاجتماعية، وهي تتشكل فقط عبر التمييز بين هويات مختلف الجماعات والتي يمكن ربطها بأناس آخرين [7].

3. 1. أزمة الهوية

من المفكرين من ينفي وجود هوية ثابتة عبر التاريخ دون غيرية بحيث ينتفي معها وجود الهوية كجوهر، ليحل وجودها كإمكانية، فالهوية متبدلة على مدى التاريخ الاجتماعي والحياة الشخصية معا.

يرى عالم الاجتماع الفرنسي كلود دوبار في كتاب " أزمة الهويات"، أن هذه الأخيرة حملت معها أزمات اجتماعية واقتصادية من جديد ، خاصة الأخلاقية منها والأنتروبولوجية. فبدأ التساؤل مشروعا عن أزمة الرأسمالية ، وأزمة الحداثة وديناميا تيا ، وأثر الأزمات العامة على الهويات السائدة. ونتج عن ذلك بروز مناهج اجتماعية حديثة تشدد على الصلات القائمة بين العقلانية الاقتصادية والعقلانية القيمية، وتبلورت نظرية جديدة في علم الاجتماع تجاوزت التقسيمات الاجتماعية القديمة، واتسعت دائرة النقاش حول كيفية الانتقال من سيطرة الجماعة على الفرد، إلى هيمنة أساليب التطويع، للانتقال من تدامج الجماعات التقليدية الموروث، إلى تدامج تطويعي مكتسب، وتأسست معها مسيرة الانتقال من علم الاجتماع الكلاسيكي، الذي يدمج الهويات بصورة قسرية أو جبرية، إلى علوم اجتماعية جديدة ترفض التفسير الحتمي للظاهرات الاجتماعية، وتفتح المجال واسعا أمام مقولات تأملية تعالج مشكلات الهوية، بكثير من الانفتاح، والدقة، والموضوعية [8].

يرى الباحث جون تومسلسون أن الهوية الثقافية نوعا من الكنز الاجتماعي الذي تمتلكه الجماعات المحلية، ولكنه شيء هش يحتاج إلى الحماية والحفاظ عليه، بعد أن اكتسحت العولمة العالم، مثل الفيضان[9].

إن أزمة الهوية ترتبط لدى الفرد بعدم قدرته على إيجاد تصور واضح له بخصوص مدركاته حول ذاته وما يتوقع منه، أو من خلال عجزه عن وضع أو ضبط تصور واضح بخصوص المعايير والمرجعيات التي يستند عليها سلوكه وهي الحالة التي تميز الجماعات أو المجتمعات، التي تتعرض للتحولات والتغيرات بصفة مستمرة أو متتالية...، مما يؤدي إلى تضارب وتناقض وصراع أو حدوث حالة من الغموض بشأن المرجعيات والمعايير فإن هذا يضع الفرد تحت وطأة القلق والتوتر ويجعله أكثر عرضة للتصرف بحالة من اللامعيارية في سلوكه[10].

كل هذه العوامل ساهمت في إحداث حالة من الارتباك لدى الفرد لا سميا إذا شعر بأن القيم التي يفترض أن تنظم الحياة الاجتماعية قد فقدت وزنها في المجتمع ويدعم شعوره هذا وبشكل مستمر من المواقف والأحداث الاجتماعية التي تثبت في كل مرة فقدان هذه القيم لسلطتها ومكانتها في المجتمع. كما أن العولمة ساهمت بشكل كبير وبطرائق عديدة في فسخ العديد من القيم والثوابت والمعايير الدينية إما بشكل مباشر وإما بشكل جعلها تفقد قيمتها وتضعف قوتها في التأثير على الأفراد والجماعات.

لاشك أن غزو الثقافة العالمية المعاصرة لمجتمعاتنا خلقت حالة من الاضطراب في منظومتنا القيمية ووضعت الثقافة العربية في مأزق.انعكس بدروه على نمط الشخصية العربية التي باتت تعاني من الاضطراب، مما جعل بنيتها أكثر تفككا واستعدادا لتشرب القيم الأجنبية الوافدة، وذلك بدوره يؤدي إلى حالة من التذبذب على مستوى الانتماء الثقافي. وهذا الوضع يقود صاحبه إلى ما سمته عالمة الانثروبولوجيا الأمريكية مارغريت ميد" عهر الهوية " ،ومادامت الصراعات القيمية تهدد مفهوم الانتماء وقبول هذا الانتماء فهي تحدث أزمة هوية ووجود. لأن التكامل والانسجام في مستوى النسق القيمي يشكل منطق وحدة الهوية وقانونية تماسكها.إن تشظي الهوية وانجرافاتها يأتي دائما كنتاج للصراعات القيمية التي لا تقبل إحدى أطرافها الهزيمة والانسحاب [11].

3. الثقافة والتنوع الثقافي في ظل التحولات الجديدة

3. 1. تعريف الثقافة

يشيع الآن قدر كبير من التردد حول قيمة كلمة ثقافة.لقد قال رايموند وليامز ذات مرة " لا أعرف كم مرة تمنيت لو أنني لم أسمع بهذه الكلمة اللعينة" وهو يسجل خيبته من أن صعوبتها كانت تتحدى مهام التحليل العادي. ويتبنى آدم كوبر الرأي نفسه إلى حد كبير. وهو يرى أن الكلمة الآن أفرط في استعمالها حتى صار من الأفضل تقطيعها إلى أجزائها المكونة والحديث عن المعتقدات، والأفكار، والفن، والتقاليد، بدلا من توقع العثور على مجموعة من السمات المشتركة تجمع هذه معا كجزء من حقل الثقافة الأشمل. مع ذلك ربما يقر إجماع الرأي مع جيمس كليفورد حين يقول إن الثقافة هي " فكرة تتعرض للشبهات بعمق"، لكن المرء " لا يستطيع أن يعمل من دونها " [12]

تختلف ارتباطات كلمة " الثقافة" بحسب ما نعنيه من نمو فرد، أو نمو فئة أو طبقة، أو نمو مجتمع بأسره[13]. ويعرف مالك بن نبي الثقافة فيقول "هي التعبير الحسي عن علاقة الفرد بهذا العالم أي بالمجال الروحي Noosphére الذي ينمي

فيه وجوده النفسي، فهي نتيجة هذا الاتصال بذلك المناخ... فالثقافة إذن – إذا ما رددنا الأمور إلى مستوى اجتماعي- هي حياة المجتمع التي بدونها يصبح مجتمعا ميتا " [14]

إجمالا يمكن تعريف الثقافة على أنها " مجموع النظم التي أنتجناها والتي تحدد حياتنا الاجتماعية "، وبالنظر إلى الثقافة كمنظومة مكونة من منظومات فرعية عدة، يتكون كل منها بدوره من مجموعة من العناصر الداخلية، وشبكة العلاقات المخططة بين الأجزاء أو المكونات أو العناصر التي تربط المنظومة الفرعية بخارجها، يلزم خصائص الثقافة التالية:

ـ **الثقافة ظاهرة إنسانية اجتماعية**: أي أنها ظاهرة تخص الإنسان فقط، لأنها إنتاج عقلي، وأوجدها الإنسان للتكيف بسرعة مع المتغيرات التي تطرأ على بيئته.

ـ **الثقافة انجاز كمي مستمر تاريخيا ومتجددة**: فهي ذات طابع تراكمي، عبر الزمن، فهي تنتقل من جيل إلى جيل الذي يليه. وهذا ما يساعد على ظهور أنماط ثقافية جديدة. فهي في تغيير مستمر تدخل عليها ملامح جديدة وتفقد ملامح قديمة.

ـ **الثقافة متباينة داخل المجتمع الواحد**: تختلف الثقافات في مضمونها بدرجة كبيرة في بعض الأحيان.

إن تاريخ المجتمعات يوضح لنا أن المجتمع يمر بمرحلتين في حياته الثقافية، مرحلة توليد الأفكار تتباطأ فيها وتيرة العمل، ومرحلة تجسيد الأفكار تتميز بتزايد وتيرة العمل وقلة في إنتاج الأفكار، ومن هنا فإن الحضارة "صورة ظرفية لتطور ثقافة ما"

ويمكن أن نخلص إلى أن أهم خصائص الثقافة في أنها مكتسبة ومتعلمة لا يولد بها الإنسان، كما أنها اجتماعية يشترك فيها أعضاء الجماعات الإنسانية وهي تعمل على إشباع الحاجات والرغبات والميول، وتتميز بارتباطها الوثيق بالتفاعل الاجتماعي.

إن حالة المجتمع مرتبطة إلى حد كبير بنوع الثقافة التي تسوده، كونها ترتبط بالحياة اليومية للناس فتحدد الضوابط والقيم والعلاقة في ما بينهم، وترسم لهم الرؤية والسلوك الذي ينتهجونه، وتحافظ على هوية الجماعة وبقائها، ومن أجل ذلك تقوم الهوية بمجموعة من الوظائف يمكن حصرها فيما يلي:

- هي وسيلة لإثبات الذات

- وسيلة للتمايز عن أفراد المجتمعات الأخرى.

- الحوار مع الشعوب الأخرى على القيم المشتركة.

وقد تكون الثقافة هي السبب في نهوض المجتمع كما يمكن أن تكون سبب تخلفه ومعاناته، وفي كلتا الحالتين يلاحظ تمسك أفراد المجتمع واستماتتهم في الدفاع عن ثقافتهم كونها تمثل صورة عن هويتهم [15].

شبهت الثقافة بالنسبة إلى مجتمعها كالرائحة للزهرة، لكن تلك الرائحة ظلت تفوح وتتكثف وتورق وتتعشب فروعا وأغصانا حتى أوشك أن يختلط أمرها مع أمر الزهرة ذاتها. لكن الثقافة تجمع بين كونها منتجا وإنتاجا [16].

3. 2. ماهو التنوع الثقافي؟

جرى تعريف "التنوع الثقافي" بأنه " تعدد الوسائل التي تجد فيها تعبيرها عن ذاتها ثقافات المجموعات الاجتماعية والمجتمعات"[17].

وتكمن الصعوبة الأولى في الطابع الثقافي لهذا الشكل من التنوع، فكثير من المجتمعات ترجع إلى وسائط مختلفة، خصوصا التوصيفات الإثنية أو اللغوية للتعبير عن تميزها الثقافي. وعلى هذا يقوم أحد الحلول على اعتماد أوسع تعريف ممكن للثقافة يتمشى مع توافق الآراء الذي جسده "إعلان ميكسيكو بشأن السياسات الثقافية " الذي أصدرته اليونسكو عام 1982 أي مجرد مجموعة الصفات الروحية والمادية والثقافية والعاطفية المتميزة بكاملها مما يتحدد به المجتمع أو المجموعة الاجتماعية، ولا يشمل ذلك "مجرد الفنون والآداب بل كذلك أساليب المعيشة والحقوق الأساسية للكائن الإنساني ونظم القيمة والتقاليد والمعتقدات " مما يمتاز بأنه لا يعتمد في تحديد الثقافة تعريفا لها يبالغ في التقييد ولا يركز على جانب واحد منها كالدين مثلا [18].

وأصبح التنوع الثقافي توجها عالميا بقيادة اليونسكو حيث اعتمدت هذه المنظمة الشعار التالي أن "تنوعنا هو مصدر قوتنا". كما يعتبر نكومو وتايلور أن التنوع هو ذلك الخليط من الناس الذين يختلفون في انتماءاتهم وهوياتهم الثقافية ولكن يعيشون في نفس النسق الاجتماعي، لذلك نجد نظرتين للتنوع الثقافي، النظرة الأولى ترتكز على التنوع الثقافي على المستوى العالمي من خلال اختلاف ثقافات العالم والدول وزخم تراثها وعاداتها وتقاليدها، أما النظرة الثانية فترى التنوع الثقافي يكمن في تلاقي الأفراد من الثقافات المختلفة تحت نسق اجتماعي معين مشكلة تنوعا ثقافيا. يقول "كلود لفي ستراوس " إن الثقافة تأخذ أشكالا متنوعة عبر الزمان والمكان ويتجلى هذا التنوع في أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية والتنوع الثقافي بوصفه مصدرا للتبادل والتجديد والإبداع، وهو ضروري للجنس البشري كضرورة التنوع البيولوجي للكائنات الحية.

3. 3 . ايجابيات وسلبيات التنوع الثقافي

للتنوع الثقافي وتعدد الثقافات عبر العالم ايجابيات وبعض السلبيات نذكرها في ما يلي:

ـ إيجابيات التنوع الثقافي

- التعرف على الثقافات الأخرى في المجتمع وفي الدول الأخرى: عاداتها ، تقاليدها وقيمها.

- الاعتراف بشرعية الثقافات الأخرى في المجتمع بأنها مركب وجزء لا يتجزأ من المجتمع.

- الاحترام المتبادل بين الثقافات وتطوير النقد الذاتي وتحقيق

الذات للفرد والثقافة في المجتمع.

- إعطاء فرصة جديدة تضمن وتحقق الحريات والمساواة بين الثقافات المختلفة في المجتمع

ـ سلبيات التنوع الثقافي

- يمكن أن يؤدي لتفكيك المجتمع ووحدته والنسيج الاجتماعي بداخله فيصبح المجتمع كالفسيفساء لأن لكل ثقافة عاداتها وتقاليدها ونمط حياتها.

- يمكن أن يؤدي إلى عدم استقرار اجتماعي وفوضى اجتماعية بأنه لا يوجد قوانين موحدة لكل الثقافات بسبب الاختلاف في القيم والعادات فلا توجد ثقافة صحيحة.

- قد تساعد في انغلاق الثقافة على نفسها وتكوين إطار خاص بها بعيدا عن الإطار المشترك وهو الدولة فينتج عدة دول في دولة واحدة وهذا يؤدي إلى تفكيك الإطار المشترك.

- قد يؤدي لصراع عنيف بين الثقافات عند المحاولة لخلق قوانين موحدة ودستور موحد للدولة والسيادة فيها وربما قد ينتهي الأمر بحرب أهلية [19].

هناك تحديات جديدة أمام التنوع الثقافي يطرحها نمو شبكات الاتصال والمعلومات وتزايد التداخل والتشابك بين الاقتصاديات الوطنية وتطور الأسواق عبر الوطنية والتوسع في الصلات بين الثقافات على تنوعها.

عموما تؤدي عولمة التبادلات الدولية إلى اندماج التبادلات المتنوعة المتعددة الثقافات في جميع السياقات الوطنية بما يوازي ويغذي الاتجاه نحو الانتماءات الثقافية المتعددة وإلى "إضفاء التعقد" على الهويات الثقافية، على أنه يتعين هنا ألا نهمل الآثار السلبية لقوى العولمة على تنوع الممارسات الثقافية. تمثل العالمية بشكل ما ثورة في الاتصالات: ثورة في نقل الرسائل، ثورة في انتقال البشر [20].

كما يؤدي تزايد الصلات بين الثقافات إلى نشوء أشكال جديدة من التنوع الثقافي والممارسات اللغوية، وخصوصا مما يعزى للتقدم في التكنولوجيا الرقمية. فدبلا من محالة حفظ التنوع بجميع أشكاله، ينبغي التركيز على استنباط استراتيجيات جديدة تأخذ هذه التغيرات في اعتبارها. إن كل تقليد حي يخضع لعملية إعادة خلقه ذاتيا، فالتنوع الثقافي، شأنه شأن الهوية الثقافية، يعني الابتكار والإبداع والقدرة على الاستجابة للتأثيرات الجديدة.

لقد بدأ عصر جديد لاستكشاف مفهوم التنوع الثقافي عبر اعتماد إعلان 2001 العالمي بشأن التنوع الثقافي ثم مرورا باتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي المعتمدة عام 2005 وما بعدها، وتتناول اتفاقية عام 2005 التبادلات بين الثقافات التي تشكل تراثنا العالمي، وهي تهدف إلى حفظ خصوصيات الثقافات من الترويج في الوقت نفسه لتنميتها على نطاق عالمي من خلال التبادلات والتجارة الخاصة بها.

والواقع أن للثقافة معنيين متكاملين على اختلافهما. فالثقافة بالمعنى الأول هي تنوع خلاق يتجسد في ثقافات محددة لها تقاليدها وأشكال تعبيرها المادية وغير المادية الفريدة من نوعها. أما الثقافة بالمعنى الثاني (بصيغة المفرد) فهي تشير إلى القوة الدافعة الخلاقة التي تكمن في صميم ذلك التنوع في الثقافات وهذان المعنيان للثقافة – أحدهما يشير إلى الذات بينما الآخر يتجاوز الذات – مترابطان بصورة لا تنفصم وفيهما معا يمكن مفتاح التفاعل المثمر بين جميع الشعوب في سياق العولمة.

أصبح التنوع القافي شاغلا رئيسيا من الشواغل الاجتماعية يرتبط بتنامي تنوع القواعد الاجتماعية المعمول بها داخل المجتمعات وفيما بينها. وتجد الدول نفسها أحيانا، وقد وجهها هذا التنوع في القواعد والرؤى، حائرة في كيفية استجابة عاجلة – وكثيرا ما يتطلب الأمر استجابة عاجلة – أو كيفية أخذ التنوع الثقافي في الاعتبار توخيا للمصلحة العامة.

4. خاتمة

نحو هوية عربية كونية ناهضة

يعتبر التنوع الثقافي والتحول الهوياتي نتاجا لمبدأ الحق في الاختلاف ومظهرا من مظاهره ولذا تطلب الأمر منا، بناء عليه، التفكير بجدية في رسم آفاق جديدة لهوية عربية كونية ناهضة.

وفي نظرنا أن البداية الفعلية للهوية العربية الكونية، هي الثقافة العربية الإسلامية بوصفها المقوم الأساسي للهوية العربية وللوحدة العربية، وهذا لا يعني أن علينا أن ننقطع إلى ثقافتنا وهويتنا وحدها، ونهمل بالتالي التنوع الثقافي والحاضر ومشاكله والمستقبل وممكناته، ورغم أن مشاكلنا الحاضرة تعود في معظمها إلى ثقافتنا. إن الزمان لا يتوقف وتراكمات الحياة تزداد تعقيدا وتضخما إذا لم نعمل فيها باستمرار يد المتابعة والمراجع والتصحيح.

وعليه، يمكن من جانب ثقافتنا العربية الإسلامية -التي تكالبت عليها ويلات ومصائب العولمة الاقتصادية- التفكير في بناء تصور جديد للإنسان العربي المسلم من أجل إرساء هوية عربية إسلامية متحولة، ومنفتحة على قيم الإنسان الكونية، ومتفاعلة مع إستراتيجيات هذه الأخيرة الموضوعة في المشترك الإنساني. فمواصلة نفس النهج المتبع منذ زمان والإبقاء على نفس التصورات القديمة، التي جعلت من الهوية العربية الإسلامية معطى ثابتا لا يتغير مع تغير الزمان والمكان، هو إجراء عقيم لم يعد يجدي أي نفع [21].

الهوية كيان ليس معطى جاهزا أو نهائي، وإنما إلى أمة ما تفتأ تتكون، وهي تغتني بتجارب أهلها، ومعاناتهم، وانتصاراتهم، وتطلعاتهم، وأيضا بسبب احتكاكها سلبا أو إيجابا بالهويات الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما، دون فرض نمط ثقافي معين على الأنماط الثقافية المتعددة القائمة والمتعايشة عبر تاريخها الطويل.

لهذا، فسؤال الهوية أصبح يشكل مطلبا أساسيا للثقافة العربية المعاصرة المراهنة على التنمية الحضارية، إنه سؤال الخصوصية و سؤال الكونية في ارتباطهما العضوي الدائم والأبدي.

إن الأمر يقتضي من الجميع القيام بمراجعة نقدية شاملة لطروحاتنا النظرية في النظر إلى مسألة الهوية والتنوع الثقافي. مع الأخذ بعين الاعتبار النقاط التالية:

- التوجه إلى الواقع وقراءته قراءة متعمقة، بحث تكون الفكرة التي يتبناها هي فكرة ذلك الواقع، واستجابة دقيقة لمتطلبات دفعته باتجاه تحرره وتجاوز تخلفه من جهة، والارتقاء به إلى مستوى طموحات أبنائه من جهة أخرى، على أن يضل الاحتكام إلى الواقع هو الأساس للتمييز بين الأفكار في حال تصارعها، وليس إلى المرجعيات والقوالب الجاهزة والثابتة التي صيغت في زمان ومكان مختلفين وتم حفظهما عن ظهر قلب ودونما استيعاب لها .

إن التعددية الثقافية واقعة أساسية في الوطن العربي لا يجب تجاهلها ولا القفز فوقها، بل بالعكس يجب توظيفها بمنتهى الوعي والحكمة في إثراء الثقافة العربية القومية وتطويرها وتوسيع مجالها. ولا شك أن ذلك يتطلب القيام بمراجعة نقدية لمفهوم الثقافة القومية العربية كي يتمكن من احتواء هذا التنوع داخل إطار من الوحدة لئلا يظل لغما قابلا للإفجار في كل لحظة.

- النظر إلى الهوية ليس من موقع ما كانت عليه، وإنما من موقع ما نطمح إلى أن تكونه، أي من موقع المسؤوليات التاريخية والحضارية والمستقبلية التي يتعين علينا حملها، ولهذا من المفيد أكثر التحرر من النزعة الماضوية التي ننوء بحملها الآن، والتي تجرنا دون أن نشعر إلى الانخراط في صراعات الماضي ومشاكله، وإلى جعل حاضرنا مشغولا بمشاكل ماضينا، والأخطر من ذلك النظر إلى المستقبل بتوجيه من مشاكل الماضي والحاضر معا على حد تعبير الجابري.

- يجب أن يكون المطلوب في عملية الاندماج الاجتماعي وإعادة اللحمة إلى الجسم العربي هو إيجاد القاعدة التي تجعل تلك الأطراف تعمل معا وفي سبيل هدف واحد، بدلا من أن تعمل كل واحدة منها ضد الأخرى يحيد بعضها بعضا.

أي أنه لا يجب أن يكون المطلوب القضاء على خصوصيات تلك الأطراف، وإنما الإبقاء على التنوع المنسجم الذي يضمن المشاركة من قبل جميع الجماعات في صنع هوية عربية ناهضة [22].

- دعوة الاتحادات القومية المعنية بشؤون الإبداع والمبدعين والمهن الإبداعية في الوطن العربي إلى تأسيس هيئة قومية أو مجلس قومي للمهن الإبداعية تكون من مهماته الرئيسية الإسهام في وضع الخطط البعيدة المدى والبرامج التنفيذية المرحلية المتصلة بمجالات " الثقافة بوصفها إبداعا" والتنسيق فيما بينها قطريا، في إطار حقيقة كون الثقافة العربية واحدة موحدة كونية. والتصدي للمعوقات التي تعترض مسيرة عمل الإبداع العربي ونموه ودوره الاجتماعي [23].

لابد من إعادة صياغة السؤال الذي ما انفك يشد انتباه الجميع منذ أوائل القرن العشرين، مع الفيلسوف الأمريكي ريشارد رورتي، ونعني به من نحن؟ وما المعايير الجديدة التي توحد بيننا وتسطر الخط الفاصل مع الآخرين؟ هل ما زالت تتمثل في الوطن أو في الحدود الجغرافية واللغوية؟ هل تعتمد الخصوصيات الثقافية أم الدينية أم التاريخية؟ [24]

فلابد إذن من استنطاق مفهوم الهوية في حد ذاته وتحديد مجالاته وتمظهراته ونجاعته في راهنية الفكر العالمي الذي ما انفك يراهن على العولمة والكونية.

من خلال ملاحظتنا نرى أن إقامة الملتقيات الوطنية والدولية حول الموضوع غير كاف للوصول إلى معالجة لإشكالية الهوية، رغم أنها تساهم في إبراز جوانب الموضوع المتعددة، لذلك من الأجدى أن تعمل هذه الملتقيات على إيجاد وتحقيق أهداف إجرائية نلمسها في الواقع المعاش، ولا تبقى حبر على ورق نزين به رفوف المكتبات، ولن يتم هذا إلا بإرادة سياسية تمكن الجامعات العربية من أن تكون الرائدة في تسطير وصناعة مستقبل هوية عربية كونية ناهضة.

إن أي حلول لإشكاليات الهوية العربية الكونية منقوصة من نظرة شاملة وإجراءات علمية وعملية في شتى الميادين، دون إهمال أو تقصير، لن يكون لها أي جدوى أو معنى، لذلك يجب أن تتضافر جهود كل القطاعات والميادين للوصول إلى التنمية البشرية التي نصبوا إليها معتمدين على البحوث العلمية لا على الأيديولوجية والمصالح الضيقة.

إن التشظي المجتمعي الذي نشهده في المجتمعات العربية عموما، صار يصعب من احتمال وجود توافق على مشروع للمجتمع، لذلك وجب العمل على تجاوز هذا الإشكال بإقامة حوار داخلي بين مختلف الاتجاهات والتيارات الفكرية والثقافية والسياسية، من أجل بناء وحدة الفضاء الثقافي الذي من شأنه أن يصوغ مشروعا للمجتمع تجد فيه كل طبقات المجتمع على اختلاف مشاربها وتوجهاتها أهدافها وغاياتها التي تصبو إليها [25].

تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

الهوامش

1- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، تر: منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 162..

2- جابر نصر الدين وغسيري يمينة ، مشكلات الشباب في المجتمع الجزائري بين أزمة الهوية واللامعيارية، نظرة تشخيصية نفسية – اجتماعية، مجلة علوم الإنسان والمجتمع ، جامعة واد سوف ، الجزائر، العدد 5 ، جوان 2012، ص 05.

3- هارلمبس وهولبورن، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا ، ط1،2010 ، ص 13.

4- عز الدين المناصرة ، الهويات والتعددية اللغوية (قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن)، الصايل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014 ،ص 60

5- عز الدين المناصرة ، المرجع نفسه ، ص 15.

6- تقرير اليونسكو العالمي، الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات ،منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، موجز تنفيذي، ج1، 2009، ص 07.

7- تقرير اليونسكو العالمي ،المرجع نفسه، ص 93-94.

8- فلالي سليمة ، بنية الهوية الجزائرية في ظل العولمة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014/2013، ص 50-51

9- سالم فاطمة الزهراء، نحو هوية ثقافية عربية إسلامية، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 2008، ص 177.

10- جابر نصر الدين ،المرجع السابق، ص 05-09

11- بلغيث سلطان ، الملتقى الدولي الأول بعنوان الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، المقال بعنوان تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب. جامعة ورقلة، الجزائر،27،28 فيفري 2011، ص 359-360.

12- طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،لبنان، ط1، 2010، ص 227.

13- ت.س. إليوت، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، تر: شكري عياد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2014، ص 30.

14- مالك بن نبي ، مشكلات الحضارة، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر ، دمشق، سوريا، ط4، 1984،ص 50.

15- فلالي سليمة ، المرجع السابق، ص ص 113-114-115- 118

16- نبيل علي، كتاب في جريدة، مختارات من كتاب الثقافة العربية وعصر المعلومات، منظمة اليونسكو، عدد 89، 2006، ص 12.

17- أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، تر: خليل أحمد خليل، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1 ،2008، ص 195

18- تقرير اليونسكو العالمي، المرجع السابق، ص 06-07.

19- عبد المجيد بكاي ،التنوع الثقافي وعلاقته بالقيم التنظيمية داخل المنظمات متعددة الجنسيات في الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة عنابة، الجزائر، سنة 2016/2015 ص 68-69

20- جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية الحضارات على المحك، تر: جورج كتورة، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ط1، 2004، ص 20.

21- عبد الجبار الغراز ، 2018، سؤال الهوية.. نحو نسق قيمي إنساني، https:// /blogs.aljazeera.net/blogs، 2019/12/05.

22- تقرير اليونسكو العالمي، المرجع السابق، ص 4-5-6- 09.

23- مسارع حسن الراوي، الثقافة العربية بوصفها إبداعا، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (د.ت) ص 207.

24- عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر آفاق معرفة متجددة، دمشق، ط3، 2010، ص 195-196.

25- فلالي سليمة ، المرجع السابق، ص ص 212-213

المصادر والمراجع

إليوت، ت.س ، 2014، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، تر: شكري عياد، القاهرة، مصر، ط1، ،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

بن نبي مالك ، 1984، مشكلات الحضارة، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصابور شاهين، ط4 ،دمشق، سورية ، دار الفكر.

بينيت طوني ، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، 2010، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، ط، 1بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.

تقرير اليونسكو العالمي، 2009، الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات،ط1، ج1،منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، ، موجز تنفيذي.

حسن الراوي مسارع ، الثقافة العربية بوصفها إبداعا، تونس، (د.ط) مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

دنيس كوش ، 2007، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، تر: منير السعيداني، ط1،، بيروت، لبنان ، مركز دراسات الوحدة العربية.

سلطان بلغيث ،27،28 فيفري 2011، الملتقى الدولي الأول بعنوان الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، المقال بعنوان تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب. جامعة ورقلة، الجزائر.

سليمة فلالي، 2014/2013، بنية الهوية الجزائرية في ظل العولمة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

عبد المجيد بكاي ،2016/2015، التنوع الثقافي وعلاقته بالقيم التنظيمية داخل المنظمات متعددة الجنسيات في الجزائر، جامعة عنابة، الجزائر.

عز الدين المناصرة، 2014، الهويات والتعددية اللغوية (قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن)، ط1، عمان، الأردن، الصايل للنشر والتوزيع.

فاطمة الزهراء سالم ، 2008، نحو هوية ثقافية عربية إسلامية، القاهرة،(د.ط) مصر، دار العالم العربي .

ليكلرك جيرار ، 2004، العولمة الثقافية الحضارات على المحك، تر: جورج كتورة، ط1 ،طرابلس، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع.

ماتلار أرمان ،2008 ، التنوع الثقافي والعولمة، تر: خليل أحمد خليل، ط، 1بيروت ، لبنان، دار الفارابي.

المسيري عبد الوهاب ، التريكي فتحي ، 2010، الحداثة وما بعد الحداثة، ط3، دمشق، سوريا، دار الفكر آفاق معرفة متجددة.

نبيل علي، 2006، كتاب في جريدة، مختارات من كتاب الثقافة العربية وعصر المعلومات، (د.ط) منظمة اليونسكو، عدد 89.

نصر الدين جابر ويمينة غسيري ، جوان 2012 ، مشكلات الشباب في المجتمع الجزائري بين أزمة الهوية واللامعيارية، نظرة تشخيصية نفسية – اجتماعية، مجلة علوم الإنسان والمجتمع ، العدد 5 ، جامعة واد سوف ، الجزائر.

هارلمبس وهولبورن، 2010، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة: حاتم حميد محسن، ط1، دمشق، سوريا ، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

المؤلف زيات فيصل، (2020)، من التحولات الهوياتية والثقافية المتعددة إلى إمكانية تأسيس هوية عربية كونية ناهضة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات. ص ص: 223-229